

الحنين من الحب

بقلم : لهنرى بريوس
ترجمة : توفيق حنا



٢٥ سبتمبر ١٨٩٣

حبيبى لويس

النقاة . وعندئذ ، وعندئذ فقط أبداً
الكتابة اليك مادمننا قد قررنا ان اكتب
اليك بين الحين والآخر وعزمنا على
ذلك عزما اكيدا وان هذه الرابطة التى
تربطنى بك ولا تربطك بى - اذ انك
لن تعرف عنوانى .. أبدا - هذه
الرابطة ستكون الشيء الوحيد الذى
لا يجعل وداعنا اليما مؤثرا .

اقبلك قبلة أخيرة .. اقبلك بكل
مافى كيانى من رقة وعدوية .. اقبلك
من بعد شاسع ، هادىء ، ملائكى !

٢٥ سبتمبر ١٨٩٤

حبيبى لويس

أعود اليك لأحدثك كما وعدت ..
ها قد مضى عام منذ ان افترقنا ...
انى اعرف جيدا انك لم تنسنى ، فما
زلنا متآلفين متحدثين حتى انى لاعجز
عن مقاومة الالم والحزن اللذين يتماكانى
ساعة افكر وساعة اذكر ..

على ان هذه الشهور المديدة لم
تذهب هباء .. فهى قد أسدلت ستارا
من الأسف الحزين على الماضى الذى

وهكذا انتهى حينا .. ولن يرى
أحدنا الآخر بعد اليوم .. ثق بهذا
نقتى انا به .. ماكنت تريد هذا بل
كنت تريد انت تقبل كل شيء لنبقى
معا ، ولكن كان يجب ان نفترق حتى
تبنى حياتك من جديد ... ولست
أسفة اذ قاومت ، فى اصرار ، هذه
الاشياء جميعا ... انت ... انا ..
نحن .. حين كنت تبكى وما اكثرت
ما بكيت وانت تدفن رأسك فى فراشنا ،
ثم وانت ترفع وجهك مرتين .. وجهك
المضىء فى ظلام الليل ، وحين لم أعد
أرى دموعك وانما كنت أحسها تدمى
يدى ..

نحن نتالم الآن الما شديدا هائلا ..
وان هذا ليبدو لى وكأنه كابوس ..
وربما استغرق المراء أياما ليست
بالقليلة لكى يعتقد شيئا كهذا ..
وربما ظل المراء حزينا متألما شهورا
ليست بالقليلة .. ولكن بعد هذه
الشهور وتلك الايام .. يأتى دور

الجديدة وهذه الشمس تنشر الثقة
والصداقة .. وحتى هذا الضوء
الخافت الذى يملأ النهار يلوح لعيني
ممتعا جميلا .

رقصت مرة .. ضحكت كثيرا ..
كنت أعد .. أول الامر .. المرات التى
كنت أضحك فيها .. ولكن زادت
المرات حتى عجزت عن عدّها

وبالأمس شاهدت عند المغيب حفلا
.. كان الجمع يمتد ويمتد .. كحديقة
جميلة ناضرة .. ورأيتنى سعيدة وسط
هذا الجمع الباسم المرح السعيد

انى اكتب اليك لا حدثك عن هذا كله
ولا نهى اليك اننى اعتنقت من أجلك ديننا
جديدا هو « الحنان » . لقد كنا نتكلم
عنه فيما مضى دون أن ندري عنه شيئا
ذا بال ..

فلنصل معا متى نعتقد ونؤمن بهذا
الدين ... فلنصل من أعماق قلوبنا ..

٦ يوليو ١٩٠٤

الاعوام تمر ... أحد عشر عاما ! لقد
رحلت انا الى بعيد ... ولقد عدت ..
وسارحل مرة أخرى .

ولا شك انه قد أصبح لك منزل
يا لويس يا من تقدم به العمر .. منزل
يضم عائلة .. وان حيائك أصبحت
- من أجل هذه العائلة - على جانب
كبير من الاهمية .

كيف انت الآن ؟ .. اننى أراك بعين
الخيال .. ممتلئ الوجه ، عريض
المنكبين ، قد وخط رأسك المشيب ..
الا انى واثقة من أن وجهك ما زال
- كمهدى به - يضيء لحظة الابتسام
.. اليس كذلك يا لويس يا من تقدم

والى .. انه مجرد ستار لا أكثر .. هي
أشياء صغيرة بهتت واختفت مع
تفصيلات كثيرة .. نعم .. اننا نقرر
هذا حين تبعث احدى هاته الاشياء
بمحض المصادفة والاتفاق ... لقد
حاولت ان اذكر ما ارتسم على وجهك
من تعبيرات حين رايتك أول مرة ،
ولكننى لم اتمكن تماما من استعادتها .
فحاولت ان تذكر نظرتى الاولى
.. ستعرف تماما كيف ينمحي كل
شيء فى الوجود .

ذات يوم ، ابتسمت .. علام ؟ ولمن ؟
ابتسمت ، ولكن لم ابتسم لواحد بعينه
ولا لشيء بعينه . انه شعاع مضى لاح
لى وأنا فى الطريق سائرة ، فدفعنى الى
الابتسام برغم شفتى . لقد حاولت
منذ وقت طويل ابتسم قليلا . ولكن
انضح لى انها محاولة من العسير
اعادتها . الا انى ابتسمت يوما .. كما
قلت لك .. ابتسمت برغمنى .. وانى
لاريدك ان تذكر هذا الماضى الذى أسعدنا
او تنظر فى المستقبل ثم ترفع الراس
وتبتسم

١٧ ديسمبر ١٨٩٩

ها انذا من جديد بالقرب منك ..
يا حبيبى لويس .. الست كالحلم فى
ظهورى حين يسرنى الظهور ! ولكن
اظهر دائما فى اللحظة المناسبة .. وسط
الظلام والفراغ .. واذهب واجيء
بالقرب منك ، لكن احدا لن يستطيع
ان يلومنى .. ألسنت اذن حلما من
الاحلام ؟

انا ليس بى من التعاسة شيء ..
لقد استعدت شجاعتى بفضل هذه
الاصبحة الجديدة وهذه الفصول



هـ

اضفته الشيخوخة على وجهي ، كما
كان يعلنه ما يملأ عيني وأنا أنظر اليك
انك ترى كم كنا محقين في أن يترك
احدنا الآخر هكذا .. مادام قد عاد
الهدوء ، وما دمت - وقد أمسكت بهذا
الخطاب في يدك قبل أن تفضّه - قد

العمر به ..! أما أنا فلن أصف لك كيف
تحولت الى عجوز شمطاء .. نعم
عجوز .. ان النساء يهرمن بسرعة ..
اسرع من الرجال . ولو قد قدر ان
اكون بجانبك الآن لتبديت بالنسبة لك
كام .. كان يؤكد ذلك ، المظهر الذي

عرفت خطي بعد شيء من التفكير ...

٢٥ سبتمبر ١٨٩٣

حبيبى لويس

ها عشرون عاما مضى على فراقنا .. ها عشرون عاما تمضي وأنا فى التراب .. وان عثمة حتى تقرا هذا الخطاب الذى ارسلته لك تلك الايدي الامينة النقية التى ارسلت لك ، خلال هذه الاعوام انطوال ، الخطابات الاخرى فسوف تكون قد سلوتنى وحينئذ تغفر لى ان قتلت نفسى غداة فراقنا اذ لم أعرف كيف احتمل الحياة بدونك . انه امس .. امس حين افترقنا .. انظر جيدا الى التاريخ الذى لابد وازك لم تتمكن من قراءته جيدا على رأس هذا الخطاب .. انه بالامس .. فى غرفتنا .. حين كنت تبكى ورأسك مدفون فى الفراش .. غارقا فى ضعفك وفى المك ، وكنت اراك خلالهما طفلا كبيرا . انه بالامس .. والليل مسدل أستاره على الكون .. ونحن بالقرب من تلك النافذة التى كانت تطل على الفناء نصف مفتوحة .. حين انحدرت دموعك فى غزارة على يدي .. انه بالامس .. حين كنت تصرخ .. وحين لم اقل انا شيئا .. واقد كلفنى موقعى هذا كل ما بى من قوة .. واليوم .. كتبت على مائدتنا .. وسط اشياءنا جميعا .. وسط هذا الاطار الرائع الذى كان يضمنا .. كتبت الخطابات الاربعة التى استلمتها فى فترات متباعدة ، وانتهيت من هذا الخطاب الذى به انتهى كل شيء . وهذا المساء .. ساعد كل شيء حتى تصلك هذه الخطابات فى مواعيدها وساعد كل شيء حتى لا يرانى أحد ثانية ..

ثم .. اختفى من الحياة .. ومن العبث ان أقص عليك كيف سيكون اختفائى . ان الحديث فى هذه الاشياء الاليمة ربما يحز فى نفسك حتى بعد هذه الاعوام الطوال .

المهم بالنسبة لى ، هو انى افلحت فى ان افصلك عنى دون جراح او آلام .. وانما فى حرص وفى حيلة وفى حنو وفى رقة . اننى أريد ان أعيش حتى أراك وليس هناك مجهود يذكر وما يبذله الانسان عند افتراقه عن من يحب .. انك برهافة حسك لا تحتمل هذا المجهود . سوف أمثل هكذا بالقرب منك مرات قليلة متباعدة . وسأنطفئ شيئا فشيئا أمام عينيك دون أن أولم قلبك الرقيق وحين أعلن لك الحقيقة ، اكون قد كسبت وقتا كافيا حتى لانفهم فتحس وتنام . يا الهى ! انى احس يا حبيبى لويس ما يعنيه موتى . ان فى هذا الحديث السامى معجزة رائعة .. حديث « اليوم » حيث نتحدث هذا الحديث الخافت الهامس من هذا البعد البعيد .. اتحدث وتصفى .. انا ولم أعد الا انت .. وانت ولا تذكر من كنت انا .. وحيث كلمة « الآن » تختلف اختلافا جديا عظيم لمن كتبها ولم يقرأها

والآن خلال هذا الامتداد العظيم من الزمان .. خلال الابدية .. ولو ان هذا يكاد يبدو عقيما .. اقبلك قبلة صادقة ، ثم .. اقف .. اذ لا أجرو - خوف ان يكون الحزن ما يرج برهقنى فأؤلك اذ ذاك - لا أجرو أن أعترف لك بكل ما يمكن ان يوحى به الحب الكبير من جنون وما يوحى به الحنان الذى هو اكبر وأعمق .